

الخطاب الحجاجي في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها) الروابط الحجاجية اختياراً

الأستاذ الدكتور

عبد الله عبد الوهاب هادي العرداوي

المدرس المساعد

عتاب بسيم السوداني

جامعة الكوفة - كلية التربية الأساسية

Attabb.alsudani@uokofo.iq abdallah.hadi@uokufa.edu.iq

**Pilgrim speech in the alfadakia sermon of Mrs. Zahra
peace be upon her pilgrimage links as a chice**

Professor Dr.

Abdul Abdullah Abdul .wahab Hadi Al.Ardawi

Assistant teacher

Ettab-Biseem Al.swdine

College of Basic Education .University of Kufa

Abstract:

It is the speech of Mrs. Zahra peace be upon her is an intellectual heritage cods as it one of the oldest and texts of literary texts And this was the responsibility of the people of the house peace be upon them including Mrs Zahra peace be upon them .including Mrs .Al Zahra peace be upon them .And from that speech her fiqh sermon which constitutes a reformist approach in religion and state was built on informational foundations according to continuous rhetorical introductions that dialogue with the other at the gate of persuasion and influence and adopting strategies that direct the addressees mind spirit and conscience away from violence coercion and fallacy. In these research papers we will give an extensive picture of the most important pilgrimage links that appear in this sermon relying on its division according following

1. Links of the pilgrimage conflict.

2. pilgrimage shopping links.

3. pilgrim sympathetic links.

Key words : pilgrims. Fatima AL Zahra. Links. The text. The significance. The rhetoric. The deliberative

الملخص :

يعد خطاب السيدة الزهراء (عليها السلام) مدونة تراثية فكرية، فهو من أعرق النصوص الأدبية وأفصحها، وهذا ديدن أهل البيت (عليهم السلام) ومنهم السيدة الزهراء (عليها السلام)، ومن ذلك الخطاب خطبتها الفدكية التي تشكل مقارنة إصلاحية في الدين والدولة بنيت على أسس تبليغية على وفق مقدمات خطابية تواصلية تتحاور مع الآخر عند بوابة الإقناع والتأثير، واعتماد استراتيجيات توجه عقل المخاطب وروحه وضميره بعيداً عن العنف والإكراه والمغالطة.

و سوف نعمل في هذه الأوراق البحثية إلى إعطاء صورة مكثفة لأهم الروابط الحجاجية التي ترد في هذه الخطبة معتمدين في تقسيمها وفق ما يأتي:

١- روابط التعارض الحجاجي. ٢- روابط

التساوق الحجاجي. ٣- روابط العطف الحجاجي.

الكلمات المفتاحية: الحجاج ، فاطمة الزهراء ، الروابط ، الخطبة ، النص ، الدلالة ، البلاغة ، التداولية

أولاً: الإطار النظري

الحجاج لغة واصطلاحاً.

ينطوي النص الحجاجي على احتمالات نسقية وإحالات إشارية ذات أبعاد ثقافية فاعلة تتوسل باللغة وانظمتها المتشابكة من أجل تشكيل فضاءات ما ورائية للمعنى في إطار السياق الكلي للنص^(١).

ونتيجة لتفاعل الذوات الحجاجية في بنية المقولات الحجاجية وما يكتسي هذا التفاعل من جدال واقناع وتأثير تسعى / الذوات إلى البرهنة وإثبات الفاعلية، فإن النص الحجاجي يصبح مداراً لدلالات كثيرة مما يجعل النص (غير مغلق على جهازه اللغوي والمعنوي)^(٢) الذي سنحاول بيانه بما يأتي:

الحجاج لغة:

تقدم المعجمة العربية رؤيتها للحجاج إذ تدور معاني الجذر اللغوي لكلمة (حجاج) (ح ج ج) على المجادلة بسبب خلاف الوجهة أو الرأي أو ما شابه، وفيه الدليل على الرأي المرغوب اثباته، وهذا ما نجده وارداً في بعض المعجمات العربية، فمنها من أورد معنى الحجاج (غلبه بالحجة، أو حاجة محاجة، وحجاجاً جادله، واحتج عليه، أقام عليه الحجة، وعارضه مستكراً فعله، وتحاجوا: تجادلوا، والحجة الدليل والبرهان)^(٣).

يظهر من هذا القول ان الحجاج يكون لخصومة، وهذا ما دلّت عليه كلمة (غلبه) وتكون الغلبة في الكلام والخطاب الذي يقيم الحجة والبرهان على صحة ما يدعى، وما دام هناك خصومة فالجدال هو المظهر الذي يجسد صورة الخطاب الحجاجي^(٤) وقد ورد في اساس البلاغة (حاج خصمه فحجّه، وفلان خصمه محجوج)^(٥) ومعنى محجوج أي: مغلوب والشخص المتكلم الغالب المحاجج والسامع المحاجج المغلوب، أي انه اقتنع بحجة المتكلم.

ومما يزيد هذا المعنى قوة ما قيل في لسان العرب (فالحجة ما دُفِعَ به الخصم، ورجل مُحْجَاجٌ أي جدلٌ، والتحاج التخاصم، واحتج بالشيء اتخذه حجة)^(٦) وبذلك فمن يدعي صحة رأيه عليه اثبات ذلك. وقد ورد لفظ الحجاج في عدة آيات في القرآن الكريم منها:

قال تعالى: ﴿ هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءَ حُجْجَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٧).

قال تعالى: ﴿ وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ قَالُوا تُحَكِّمُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٨).

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ مُجِئُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ^(٩).

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَحْجُرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ بَعَاءً فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَلْنَا نَنْصِيبَ مِنَ النَّارِ ﴾ ^(١٠).

الحجاج اصطلاحاً:

إذا ما تفحصنا المقولات المعجمية ^(١١) والبلاغة العربية ^(١٢) وكذلك البلاغة الارسطية في الخطاب الحجاجي ^(١٣)، فانا نلاحظ انها تتقاطع لتتمحور حول البرهانية والاستدلال في علاقتها بالحجاج ولهذا يدرك الحجاج بوصفه (حججاً منطقية اقناعية دفاعية توظف من قبل المجادل بغية اقناع الجماهير) ^(١٤).

واما بيرلمان فانه يحدد الحجاج اصطلاحاً في ضوء البلاغة المعاصرة بوصفه: (جملة من الاساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة تحفز المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع) ^(١٥). وبذلك (يعد الحجاج خطاباً ذا اقناعية تروم دفع المتلقي إلى تغيير اعتقاداته، وتبني ثقافة وسلوكات وتصرفات منشودة، انطلاقاً من حجج ملائمة لثقافة المتلقي المفترض وتمثلاته) ^(١٦) والحجاجية وهي المصطلح المفضل لدى إريك كراب تبتني (على جملة من التصورات والمقدمات والفرضيات التي ينسج منها المحاجج خططه البرهانية، فهذه المقدمات يستمال المعنيون، كما ان لهم الحق في رفضها إذا لم تنسجم مع تصوراتهم، أو كانت من البساطة أو السطحية بحيث لا تمثل أي عنصر جذاب) ^(١٧) كما نرصد تعريفاً آخر للحجاج بالنظر إليه على انه: (وسيلة المتكلم في جعل المتلقي يتقبل آراءه واتجاهاته، وانتقاداته وتوجيهاته) ^(١٨).

أما الحجاج عند ديكر، فهو يفرق بين معنيين للحجاج: المعنى العادي، والمعنى الفني أو الاصطلاحي والحجاج موضوع النظر في التداولية المدججة هو بالمعنى الثاني. والذي يعيننا في هذا البحث هو الحجاج بالمعنى الفني الذي يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية^(١٩)، وصفوة القول مما تقدم نرى ان الحجاج عند ديكر وزميله انسكومبر يتركز على اديم لساني بحث، فهو حجاج يقوم على اللغة بالأساس، بل يكمن فيها، بينما الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه مثل نظرة منطقية وهذا ما ينزل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطب وجمهوره.

ولا بد من القول هنا، ان هذه العجالة اللغوية والاصطلاحية لا تشكل إلماً بمصطلح الحجاج والمقولات المعرفية فيه، لكنها تبقى اضاءة سريعة لهما في حدود صفحات البحث.

٢/الروابط الحجاجية:

ارتبط مفهوم الروابط في عدة دراسات بالمباحث النحوية والدلالية من دون النظر إلى وظيفتها الحجاجية والتداولية، إذ عدّ بعض الدراسين ((إن دورها لا يتجاوز الربط بين الجمل والقضايا، اما بعدها الحجاجي والتداولي فقد برز مع ديكر في إطار صياغته للتداولية المدججة، وهي النظرية التداولية التي تشكل جزءاً من النظرية الدلالية))^(٢٠)، إذ لم يغفل ديكر وزميله في اثناء صياغتهما لـ(النظرية الحجاجية في اللغة) هذا الجانب المهم الذي يتمركز في ابنية اللغة بوصفها ظاهرة لغوية مهمة جداً لها ارتباط بطريقة مباشرة في توجيه الحجاج من خلال إحداث الانسجام داخل الخطاب، والدفع باتجاه تحقيق الاقناعي عبر استمالة المتلقي وتوجيهه نحو الغاية التي يريد المتكلم بمعنى انها عناصر لغوية تلعب دوراً أساسياً في اتساق النص وانسجامه، وربط اجزائه شكلاً ومضموناً من اجل تحقيق الوظيفة التوجيهية الحجاجية للملفوظات^(٢١).

وبحسب تصور ديكر فقد أشار شكري المبخوت إلى تنوع أشكال الربط الحجاجي، بقوله: ((إذا كانت الوجهة الحجاجية محددة بالبنية اللغوية، فأنها تبرز في مكونات ومستويات مختلفة من هذه البنية، فبعض هذه المكونات يتعلق بمجموع الجملة، أي هو عامل حجاجي في عبارة ديكر، فيقيدها بعد ان يتم الاسناد فيها، ومن هذا النوع نجد

النفي والاستثناء المفرغ والشرط والجزاء وما إلى ذلك مما يغير قوة الجملة دون محتواها الخبر، ونجد مكونات أخرى ذات خصائص معجمية محددة تؤثر في التعليق النحوي، وتتوزع في مواضع متنوعة من الجملة الحجاجية اللغوية، ومن هذه الوحدات المعجمية حروف الاستئناف بمختلف معانيها، والأسوار (بعض، كل، جميع) وما اتصل بوظائف نحوية مخصوصة كحروف التقليل، أو ما تخوض لوظيفة من الوظائف مثل (قط) أو (أبدأ)^(٢٢).

ومن هنا ميز أبو بكر العزاوي بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية ((فالروابط الحجاجية تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصلح (أو أكثر) وتسد لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة))^(٢٣).

كما فصل العزاوي القول في طبيعة هذه الروابط وقسمها على أقسام هي^(٢٤):

- الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن...).

- الروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، بالتالي...).

- الروابط التي تدرج حججاً قوياً (حتى، بل، لكن، لا سيما...).

- روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك...).

- روابط التساوق الحجاجي (حتى، لا سيما...).

من خلال ما سبق تبين أن الروابط اللغوية تسهم في انسجام الخطاب وتماسكه من خلال ربطها بين القيمة الحجاجية لقول ما وبين النتيجة، أي الربط بين قضيتين وترتيب أجزاء القول، ومنحها القوة المطلوبة بوصف هذه الأشياء حججاً في الخطاب^(٢٥).

لقد أثرت هذه الروابط تأثيراً كبيراً في أدلة الحجاج في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام) بالخاصية الإقناعية والتأثيرية وهذا ما سنراه في الإطار التطبيقي.

ثانياً: الإطار التطبيقي:

يعد خطاب السيدة الزهراء (عليها السلام) مدونة تراثية فكرية، فهو من أعرق النصوص الأدبية وأفصحها، وهذا ديدن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومنهم الإمام الحسن (عليه السلام)، ومن ذلك الخطاب الثر رسائله التي تشكل مقاربة إصلاحية في الدين والدولة بنيت على أسس تبليغية على وفق مقدمات خطابية تواصلية تجاور الناس عبد بوابة الإقناع والتأثير

في المتلقي، واعتماد استراتيجيات توجه عقل المخاطب وروحه وضميره بعيداً عن العنف والإكراه والمغالطة.

والخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام) يمكن مقاربتها حجاجياً من خلال دورها في إقناع الآخر والتأثير فيه، فقد توافرت في هذه الرسائل مجموعة لا بأس بها من الروابط التي تميزت بفاعليتها الحجاجية، وتوجيه دلالة المحاجة، لذلك سوف نعمل في هذه الأوراق البحثية إلى إعطاء صورة مكثفة لأهم الروابط الحجاجية التي ترد في هذه الرسائل معتمدين في تقسيمها وفق ما يأتي^(٢٦):

١- روابط التعارض الحجاجي.

٢- روابط التساوق الحجاجي.

٣- روابط العطف الحجاجي.

١- روابط التعارض الحجاجي:

أ/ الرابط الحجاجي (لكن):

وهي من الأدوات النحوية التي حددها العلماء العرب لنفي كلام واثبات غيره، وهي (حرف استدراك، ومعنى الاستدراك ان تنسب حكماً لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر خفت ان يتوهم من الثاني، مثل ذلك فتداركت بخبره سلباً وإن ايجاباً... ولا تقع لكن إلا بين متنافيين بوجه ما)^(٢٧) ومن هذا المنطلق، فإن هذه الأداة تقيم علاقة ربط بين قولين متناقضين أو متنافيين هو من الناحية الحجاجية ربط حجاجي تداولي بين المعطى والنتيجة^(٢٨).

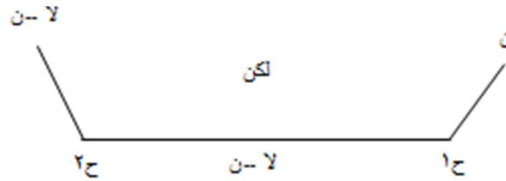
وتدل الخطاطة الحجاجية الموضحة التي قدمها أصحاب النظرية الحجاجية للأداة (لكن) إلى: أن التلفظ بأقوال من نمط (أ لكن ب) يستلزم أمرين:

١- إن المتكلم يقدم (أ) و (ب) بوصفهما حجتين، الحجة الاولى موجهة نحو نتيجة معينة (ن)، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها أي (لا - ن).

٢- إن المتكلم يقدم الحجة الثانية بوصفها الحجة الأقوى وبوصفها توجه القول أو الخطاب برمته^(٢٩).

من هذه الخطاطة، نجد ان وظيفة (لكن) ومثلها (بل) الحجاجيتين تعمل على قلب الفرضية بين ما يتقدم الرابط وما يتبعه، فما يسبق الرابط (لكن) يتضمن حجة (أ)، (ظاهرة) تخدم نتيجة (ضمنية) متوقعة (ن)، وما بعد الرابط يتضمن حجة (ب)، (ظاهرة) تخدم نتيجة (ضمنية) مضادة (لا - ن) للنتيجة السابقة (ن)، وهنا يكون دور الرابط الحجاجي (لكن) في الربط بين قولين متنافيين من جانب، وإعطاء الحجة الثانية التي تأتي بعده بالقوة اللازمة التي تجعلها أقوى من الحجة الأولى التي سبقت الرابط ونتيجة لذلك فقد عمل الرابط على توجيه القول بمجمله نحو النتيجة المضادة (لا - ن) (٣٠).

وقد ورد ذكرها في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام) في قولها: (ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ) (٣١) الذي نلاحظ فيه الرابط الحجاجي (لكن) قد عمل تعارضاً حجاجياً بين ما تقدم وما تأخر عنه، فالقسم الأول الذي سبق الرابط قد تضمن حجة تخدم نتيجة ضمنية (ن) من قبيل ان السيدة الزهراء (عليها السلام) تخاطب (أبي قحافة) وجمع (المهاجرين والأنصار) (انه قد قال ما قال، وأنها على معرفة بالخذلان وترك النصر الذي خالطهم، والغدر الذي استشعرت في قلوبهم من خلال الاستعداد التام الظاهر قولاً وفعلاً بزعمهم بعدم أحقيتها بفدك)، اما القسم الثاني الذي جاء بعد الرابط فقد تضمن حجة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة (لا - ن) أي تخدم نتيجة انهم: (يضمرون ما في النفس من الهم وغلبة الحزن بالحقد الدفين والحسد المقيت على آل البيت (عليهم السلام) حتى كأنهم كالمغتاط الذي يتنفس عالياً تسكيناً لحر القلب، واطفاء لنائرة الغضب بما يبيتونه من ايدولوجيات معرفية دفيئة تفصح عن مكنونات لذوات تتعزز على عقيدة كاذبة، وإيمان متأرجح بين الظاهر/الإيمان المبطن والمضمر/النفاق)، وفي كل ما سبق، مبعثه محايدة ايدولوجية تغذيها أدلة تداولية راسخة. ويمكن لنا توضيح هذه المداولة الحجاجية من خلال هذه الخطاطة البيانية الآتية:



ب - الرابط الحجاجي (بل):

ذكر الرماني في فحوى هذه الأداة: (هي من الحروف الهوامل ومعناها الإضراب عن الاول والايجاب للثاني)^(٣٢) وعليه فهي من أدوات الربط التي تستعمل للإبطال والحجاج مثلها مثل (لكن) ولهذا الرابط حالان:

الأول: ان يقع بعده مفرد.

الثاني: ان يقع بعده جملة، فان وقع بعده مفرد فله حالان:

أ- إن تقدمه أمر أو ايجاب نحو: (أضرب زيداً بل عمراً) و (قام زيد بل عمرو) فانه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه، ولا يحكم عليه بشيء ويثبت الحكم لما بعده.

ب - إن تقدمه نفي أو نهي نحو: (ما قام زيد بل عمرو) و (لا تضرب زيداً بل عمراً) فانه يكون لتقرير حكم الأول وجعل ضده أي إثبات الثاني ونفي الاول.

اما إذا وقع بعد (بل) جملة، فيكون معنى الاضراب:

أ- اما الابطال نحو قوله تعالى: (أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون)^(٣٣).

ب - واما الانتقال من غرض إلى غرض^(٣٤) نحو قوله تعالى: (قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلّى، بل تؤثرن الحياة الدنيا)^(٣٥).

ومما تقدم يتضح ان (بل) تعمل عمل (لكن) في المنحى الحجاجي الذي يصفها بالاستدراك والتوكيد والقصر والاضراب والإبطال^(٣٦).

ونجد حجاجية (بل) في قول السيدة الزهراء (عليها السلام) وهي تخاطب أبا بكر: (سبحان الله ما كان رسول الله (ﷺ) عن كتاب الله صادفاً ، ولا لأحكامه مخالفاً ، بل كان يتبع أثره)^(٣٧) إن (بل) الواردة في المثال هي من النمط الحجاجي الذي أفاد التوكيد فقد توسطت بين حجتين فيما تقدمها كان منفيّاً (ما كان) في حين جاءت الحجة التي تلتها مثبتة (كان) وبذلك يكون الرابط قد أقام علاقة حجاجية بين نفي احتمال (ان يكون رسول الله (ﷺ) عن كتاب الله صادفاً ، ولأحكامه مخالفاً) وبين اثبات حقيقة الإتيان/ اقتفاء أثر القرآن من رسول الله (ﷺ)، إذ ان الإتيان/ اقتفاء أثر القرآن من رسول الله (ﷺ) في المنظور المضمّر عند أبي بكر - فدك لا تورث - بينما هي في المنظور الحجاجي

المؤكد بنتيجة مضادة (لا - ن) ان تكون/ فذك إرثا للسيدة الزهراء (عليها السلام) في المنظور الظاهر بدلالة الإتيان/ اقتفاء أثر القرآن من رسول الله (ﷺ).

ومنه قولها (عليها السلام) مخاطبة أبي بكر: (معاشر الناس المسرعة الى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"، كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم) (٣٨).

ف(بل) هنا دلّت على التوكيد، فقد توسطت بين حجتين فيما تقدمها كان منفيًا بدلالة الآية (أفلا يتدبرون) في حين جاءت الحجة الثانية مثبتة (ران على قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم) وبذلك أقام الرابط علاقة حجاجية قائمة على مسألة خلقية متجذرة في ذوات عقدية واهمة (أبو بكر وحشد المهاجرين والأنصار) فكان الفضاء العلائقي الحجاجي يمثل جوهر الآية اذ روي عن الإمام الصادق والكاظم (عليهما السلام) أن المعنى: أفلا يتدبرون القرآن فيقضى بما عليهم بالحق؟ وتنكير القلوب لإرادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم (٣٩) فكانت الحملات الثقافية عند أبي بكر وحشد المهاجرين والأنصار تمثل طبعهم الذي غلب على قلوبهم، ومشكلة نسقهم العقدي خلال مسيرة حياتهم.

٢- روابط التساوق الحجاجي: الرابط الحجاجي (حتى):

يبرز الرابط الحجاجي (حتى) كعلامة حجاجية فارقة، ويكتسب هذا الرابط أهميته من علاقته الواضحة والقوية مع المعنى الضمني والمضمّر، إذ ان دورها لا يقتصر على إضافة معلومة جديدة إلى سياق الجملة كما لو تقول: (جاء زيد) فتكون (حتى زيد جاء) إذا كان مجيء زيد غير متوقع، بل ان دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة تردف الحجة التي تسبقها وتساوقها والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية (٤٠) فتساوق الحجتان في رد النتيجة بالطاقة الحجاجية المؤثرة، ولكن تبقي الحجة التي يأتي بها الرابط (حتى) هي أقوى من الحجة التي سبقتها، أي ان يكون ما بعدها غاية لما قبلها، ولذا أقرّ ديكرو بان (الحجة المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي ان تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي انها تخدم نتيجة واحدة والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فان القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي) (٤١) وقد توافرت في الخطبة الفدكية

السيدة الزهراء (عليها السلام) الرابط حتى وهو في دلالات متعددة في مقام واحد فتستعمل للتعليل وللغاية، كما في قولها: (أيها الناس اعلموا: اني فاطمة وأبي محمد (عليهما السلام)... لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ... فبلغ الرسالة، صادعا بالندارة، مائلا عن مدرجة المشركين، ضاربا ثبجهم،... حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه) (٤٢) فالرابط الحجاجي (حتى) في هذا المثال ينظر إليه من زاويتين من اجل تحقيق غايات اقناعية فمرة يقرأ من زاوية (سببية) أي ان ما قبلها علة وسبب وحجة لما بعدها فيكون مرادفاً لـ(كي) التعليلية فيكون المثال (فبلغ الرسالة، صادعا بالندارة، مائلا عن مدرجة المشركين، ضاربا ثبجهم،... كي ينهزم الجمع ويولوا الدبر، كي يفرى الليل عن صبحه) وهنا يمكن ان نعد ما قبله حجة وما بعده نتيجة فالسيدة الزهراء (عليها السلام) تقدم حجته بان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بلغ رسالات الله وقام بأمره.

فضلاً عن ذلك فقد تستعمل (حتى) للغاية فتكون مترادفة لـ(إلى) فحكم ما بعدها يكون مخالف لحكم ما قبلها فيتقرر الحكم قبل (حتى) في إفادة تبليغ رسالات الله والقيام بأمره، أي تكون الحجة التي بعدها غاية لما قبلها، وهما في كل الأحوال يخدمان نتيجة واحدة، وتبقى الحجة التي ترد بعد (حتى) هي الأقوى حجاجياً.

ومن استعمالات الرابط الحجاجي (حتى) ان يكون بمعنى (الغاية) في قول السيدة الزهراء (عليها السلام): (ايها بني قيلة ... قاتلتم العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، فلا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون حتى دارت بنا رحي الإسلام، ودر حلب الأيام... فأنى حزتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان) (٤٣) يتضح من هذا النص ما يأتي:

- ح١: قاتلتم
- ح٢: تحملتم
- ح٣: ناطحتم
- ح٤: كافحتم
- الرابط الحجاجي: حتى.
- ح١: دارت
- ح٢: در

هنا تخاطب السيدة الزهراء (عليها السلام) الأنصار (قبيلة الأوس والخزرج) وهي توازن بين نسقين لهما مثالان واقعين متغايرين ، الأول : تمثل في بداية الدعوة الإسلامية والسعي لتثبيت أركان الدين ، وكانوا فيها مطيعين للرسول (ﷺ) ، والثاني : بعد الاستقرار الديني ، وهنا تورد السيدة الزهراء (عليها السلام) مجموعة من الحجج المحكمة السبك شعوريا واقناعيا قبل الرابط حتى والتي الى نتيجة متوقعة هي : الاستقرار ، وتنتججه تثبيت عرى الدين التي اتضحت بمجموعة من الحجج بعد الرابط حتى ، وما قبل الرابط وبعده يخدمان نتيجة واحدة هي : (نكوص الأنصار وخذلانهم للسيدة الزهراء (عليها السلام) في فذك) والنص هنا برمته يضع حدوداً دينية / أخروية ينبغي التوقف عندها لأنها متعلقة بوظيفة الرابط (حتى) في الوصول إلى الغاية وتحقيق الانسجام التداولي.

ونظيره هذا المثال : (وبعد ان مني بيهم الرجال وذؤبان العرب ومزدة أهل الكتاب... قذف أخاه في لهواتها ، فلا ينكفي حتى يطاء صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه) (٤٤)

٤- روابط العطف الحجاجي:

تنسق مجموعة من الحروف ببعد حجاجي مهم من خلال ربطهما بين الحجج والتتائج والتنسيق بينهما من اجل التعليل والتفسير والتبرير ، ومن هذه الروابط أحرف العطف : (ثم ، الفاء ، الواو) إذ انها تقوم بدور حجاجي كبير ، فالملاحظ انها تقوم بالربط بين قضيتين (حجتين) لنتيجة واحدة ، ووصفهما سلماً حجاجياً يخضع هذه الحجج إلى تراتبية معينة بحسب قوتها في دعم النتيجة النهائية ، فانها تسهم أيضاً في بداعة المعنى المقصود ولاسيما إذا استعمل كل حرف واستغلت وظيفته في الموضع المناسب ، فذلك يزيد من الإثبات على المعنى من جهة ، ويلقي على الخطاب نوعاً من التنظيم والانسجام مرة أخرى (٤٥) وفي هذا المورد سنحاول ان نبين عمل هذه الروابط في رسائل الامام الحسن (عليه السلام) ، وبيان مستوى دعمها لعمل المحاجة:

أ- الرابط الحجاجي (ثم):

هي من حروف العطف التي تفيد التراخي والمهلة بين قضيتين متباعدتين ، فضلاً عن إفادتها الترتيب بين الحجج ، ومثالها قولها (عليها السلام): (ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ، وأنشأها بلا احتذاء امثلة امثلها كونها بقدرته ، وذراها بمشيئته ،... تعبداً لبريته واعزازاً

لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته^(٤٦) فالحجج التي أقامتها السيدة الزهراء (عليها السلام) متتالية ومرتبة تتسق وتنسجم مع ما ينبغي ان يكون عليه العبد في اللقاء الأخروي، وقد أفادت (ثم) في إقامة هذه التراتبية في عرض الحجج وبحسب سياقاتها، وحقيقة (ثم) هنا دالة على التراخي والمهلة للربط بين المعطوف والمعطوف عليه، وهذه المهلة مرتبطة بالزمن الحقيقي الفعلي مقترناً بزمن نفسي مفعم بالأحاسيس التي تركز على الوعد والبشارة بالجنة والجزاء الأخروي.

ومنه قولها (عليها السلام): (فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها فأثار الله بأبي محمد (صلى الله عليه وآله) ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار غممها،... ثم قبضه الله إليه قبضة رافة واختيار، ورغبة وإيثار)^(٤٧) فلنلاحظ هنا ان الرابط (ثم) قد توسطت بين الأفعال للدلالة على التراخي وإعطاء المهلة، وكأن بين الأفعال المتناسقة تراخياً زمنياً مع إفادة الترتيب في إلقاء هذه الحجج.

ب - الرابط الحجاجي (الفاء):

من حروف العطف التي تضطلع بمهمة حجاجية، إذ إنها تربط بين النتيجة والحجة من أجل التعليل والتفسير فهي أداة ربط تفيد التعليل والاستنتاج في الخطاب الحجاجي التداولي، ومن ثم فهي تجمع بين قضيتين متباعدتين في الدلالة على التقارب بين الأحداث، فضلاً عن الدلالة على الترتيب والاتصال، وأكثر ورودها كون ما بعدها أو المعطوف بها متسبباً عما قبله^(٤٨).

ومن أمثلتها قولها (عليها السلام): (قدمه اليكم، وبقيّة استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق،... بينة بصائره،... به تنال حجج الله المنورة،... وشرائعه المكتوبة، فجعل الله الايمان : تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر،...)^(٤٩) فهنا نجد الرابط (الفاء) قد عمل على الترتيب والاتصال / التسارع في تلبية الدعوى (الجعل) من دون مهلة، إذ أفادت التعقيب مباشرة خلافاً لما تفيد (ثم) من معنى التراخي فكان ما قبلها علّة وسبباً لما بعدها.

ومنها قولها (عليها السلام): (وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع،... تشربون الطرق، تقتادون القد، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنتذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله))^(٥٠) فلنلاحظ فيه ان (الفاء) قد ربط

بين الحجة والنتيجة فكان ما بعدها من حجة قد عللت وفسرت النتيجة التي سبقت الرابط، وكان لتعاقد (الواو) معها في سياق العبارات سبيلاً لمزيد من الاتساق التداولي وأدلة الانساق المعرفية التي كانت ثيمتها الناجعة البعد العقدي الراكز بالرسول محمد (ﷺ) وآل البيت (عليه السلام) من بعده.

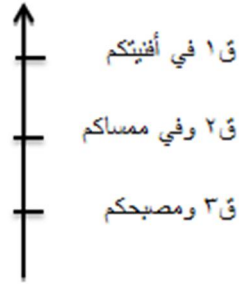
ومنه قولها (عليه السلام): (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله،... قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطا جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه،... تتبرصون بنا الدوائر،... وتفرون من القتال، فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفياه، ظهر فيكم حسكة النفاق، وسمل جلباب الدين)^(٥١) إذ يتمحور التعقيب الحجاجي في (الفاء) عن مغزى عقدي / النفاق الذي يرتبط بقضايا مصيرية تتحكم فيها حيثيات معرفية تقتضي في الظاهر (الأنا - الإمام علي (عليه السلام)) الصفاء الروحي، ومراعاة مصالح الأمة الإسلامية بينما في المضمهر (الآخر - الأنصار) الفراغ الروحي ومراعاة المصالح الشخصية، فدلالة النتيجة المضمره / النكوص والخذلان للسيدة الزهراء (عليها السلام) في فذك واردة في علمها (عليها السلام) / الغيب، لكن إرادة الواقع المألوف ضرورة للمؤتلف والمختلف / الناس من أجل تثبيت الحقائق.

ج - الرابط الحجاجي (الواو):

يشير هذا الرابط إلى وظيفة الجمع بين قضيتين (حجتين) ويستعمل حجاجياً بوصفه رابطاً عاطفياً يعمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعضها الآخر، بل يعمل على رص الحجج وتماسكها وتقويتها، فضلاً عن التدرجية أو السلمية في ترتيب الحجج وعرضها^(٥٢).

ومن شواهد (الواو) الحجاجية، قولها (عليها السلام): (أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه، في أفنيتمكم، وفي مماسكم، ومصبحكم، يهتف في أفنيتمكم هتافاً)^(٥٣).
فالحجج المترادفة قد اتسقت واتحدت باتجاه دعم النتيجة المطروحة وتقويتها بقوة الرابط (الواو) الذي أفاد التعليل والتبرير لمضمون النتيجة (أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه) كما اشتغل الرابط على التراتبية، وإدراج الحجج بشكل أفقي بحيث يتضح ان الحجة الأولى هي الحجة الأقوى لخدمة النتيجة المطروحة لوقوعها في أعلى السلم الحجاجي.

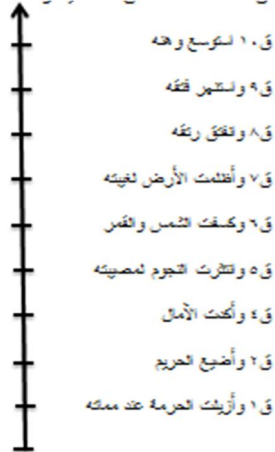
"ن" أعلن بها كتاب الله جل، ثناؤه



ومن الشواهد أيضاً في نص الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام) ، قولها (عليها السلام):
 (أتقولون مات محمد (ﷺ)؟ فخطب جليل: استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه،
 واظلمت الأرض لغييبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتشرت النجوم لمصيبته، وأكدت
 الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة
 الكبرى) (٥٤).

فالرباط الحجاجي (الواو) قام بالربط والوصل بين الحجج، وعمل أيضاً على
 ترتيبها، بالشكل الذي يضمن تقوية النتيجة المطروحة ودعمها، وهي (مات محمد (ﷺ))
 :فخطب جليل) كما عمل على حصول الترادفية في النتيجة الواحدة، وهذا الربط
 النسقي بين الحجج قد أضفى سلمية تدرجية باتجاه الحجة الأقوى بشكل أفقي، أي
 عكس السلم الحجاجي.

"ن" مات محمد (ﷺ): فخطب جليل



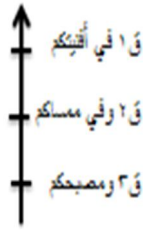
وهنا يتضح ان الحجة الأولى هي الحجة الأقوى مقارنة بالحجج التي سبقتها لخدمة النتيجة المعروضة لورودها في أعلى السلم الحجاجي.

ومن شواهد (الواو) الحجاجية، قولها (عليها السلام): (أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه، في أفنيتمكم، وفي

مساكم، ومصبحكم، يهتف في أفنيتمكم هتافاً) (٥٥).

فالحجج المترادفة قد اتسقت واتحدت باتجاه دعم النتيجة المطروحة وتقويتها بقوة الرابط (الواو) الذي أفاد التعليل والتبرير لمضمون النتيجة (أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه) كما اشتغل الرابط على التراتبية، وإدراج الحجج بشكل أفقي بحيث يتضح ان الحجة الأولى هي الحجة الأقوى لخدمة النتيجة المطروحة لوقوعها في أعلى السلم الحجاجي.

"ن" أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه



وفي ختام هذا البحث لا بد من القول: ان ما عرضناه من روابط حجاجية من خلال الأمثلة الواردة في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام) تمثل الاستعمال الحجاجي دون غيرها من الاستعمالات الأخرى.

الخاتمة

بعد أن من الله علينا بإنجاز البحث والنظر في الحجاج بوصفه منهجاً لتحليل الخطاب عبر بنيته وخصائصه واساليبه، وبعد ان انتهينا من اجراءات هذا المنهج في مدونة تراثية هي: رسالة الإمام الحسن (عليه السلام)، لا بد لنا نمني النفس بجمع شتات بحثنا، وعرضها بشيء من التركيز بما يأتي:

- اعتمد المنجز النصي في خطابه على الحجاج اللغوي بوصفه ظاهرة لغوية نجدها في كل قول، وفي كل خطاب بحسب ديكرو.

- كشفت لنا المدونة عن بعض الآليات اللغوية الحجاجية من خلال الاعتناء بحروف الربط، وحسن اختيارها، وأماكن تواجدها في النفس من أجل توجيه الكلام نحو آفاق واضحة يرومها الباث منذ البداية، وهذا ما يعرف بـ(الروابط الحجاجية).

- كان دور الروابط الحجاجية في سياق الكلام التأثير والإقناع، وانتقاء مواضعها في الخطاب النصي من أجل هذه الغاية، وتوصيل المقاصد الحجاجية التي يريدتها، لذلك أعطت السيدة الزهراء (عليها السلام) هذه الروابط اللغوية دوراً كبيراً في تأدية المعنى، وانسجام الكلام لتتنحصر وظيفتها الحجاجية داخل اللغة مما يمنح الخطاب دفعةً قويةً ومؤثراً.

هوامش البحث

- (١) ينظر: بلاغة الحجاج في النص الشعري: ٢٥٥.
- (٢) زمن النص: الزمن وتفكيك الوحدة الابدلوجية للنص: ١٠٧.
- (٣) المعجم الوسيط: ١٠٦/١ - ١٠٧.
- (٤) ينظر: مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته: ٢٦٨.
- (٥) أساس البلاغة: ٧٤.
- (٦) لسان العرب: ٢٩٩/١٢ مادة (حجج).
- (٧) آل عمران: ٦٦.
- (٨) الانعام: ٨٠.
- (٩) الشورى: ١٦.
- (١٠) غافر: ٤٧.
- (١١) ينظر: لسان العرب: ٢٩٩/١٢ مادة (حجج).
- (١٢) ينظر مثلاً: منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٦٢.
- (١٣) ينظر: الخطابة: ٢٢٦.
- (14) blair, J. Anthony, Everyday Argumentation from an informal logic perspective, 358.
- نقلاً عن بلاغة الحجاج في النص الشعري: ٢٥٧.
- (١٥) الحجاج في الشعر العربي القديم: ٢١.

(١٦) الاسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية: ٣٣٦. ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته.

(17) krabbe, Erik, theory of Argumentaion and the Dialectical Garb of For mal logic, p. 123.

تقلاً عن بلاغة الحجاج في النص الشعري: ٢٥٩.

(١٨) الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي: ٢٨٤.

(١٩) ينظر: التداولية والحجاج: ٢١.

(٢٠) معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي: ١٩١.

(٢١) ينظر: رسائل الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة - دراسة حجاجية -: ٩٣ - ٩٤.

(٢٢) ينظر: نظرية الجاج في اللغة ضمن كتاب (اهم نظريات الحجاج): ٣٧٧.

(٢٣) الحجاج في اللغة: ١٤.

(٢٤) ينظر: الحجاج في اللغة: ٦٥.

(٢٥) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة - دراسة حجاجية -: ٩٨.

(٢٦) ينظر: رسائل الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة. دراسة حجاجية: ٩٨.

(٢٧) الجنى الداني في حروف المعاني: ٥٩١.

(٢٨) ينظر: رسائل الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة - دراسة حجاجية -: ٩٩.

(٢٩) ينظر: اللغة والحجاج: ٥٨.

(٣٠) ينظر: رسائل الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة - دراسة حجاجية -: ٩٩.

(٣١) الاحتجاج : ١٤١/١ .

(٣٢) معاني الحروف: ٧١.

(٣٣) المؤمنون: ٧٠.

(٣٤) ينظر: اللغة والحجاج: ٦١.

(٣٥) الاعلى: ١٤ - ١٦.

(٣٦) ينظر: رسائل الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة - دراسة حجاجية -: ١٠٥.

(٣٧) الاحتجاج: ١٤٤/١.

(٣٨) الاحتجاج : ١٤٤/١.

(٣٩) ينظر: المصدر نفسه: ١/هامش صفحة ١٤٠.

- (٤٠) ينظر: اللغة والحجاج: ٢٧.
- (٤١) اللغة والحجاج: ٧٣.
- (٤٢) الاحتجاج: ١/١٤٤.
- (٤٣) المصدر نفسه: ١/١٤٤.
- (٤٤) الاحتجاج: ١/١٣٦.
- (٤٥) ينظر: الحجاج في كتاب المثل السائر (رسالة ماجستير): ٩٣.
- (٤٦) الاحتجاج: ١/١٣٣.
- (٤٧) المصدر نفسه: ١/١٣٥.
- (٤٨) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة - دراسة حجاجية: - ١٢٤.
- (٤٩) الاحتجاج: ١/١٣٥.
- (٥٠) المصدر نفسه: ١/١٣٦.
- (٥١) المصدر نفسه: ١/١٣٦.
- (٥٢) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة - دراسة حجاجية: ١٢٣.
- (٥٣) الاحتجاج: ١/١٣٩.
- (٥٤) الاحتجاج: ١/١٣٩.
- (٥٥) الاحتجاج: ١/١٣٩.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الاحتجاج الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) تحقيق: محمد باقر الخراسان ، دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الأشرف ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- أساس البلاغة، الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر) تحقيق: عبد الرحيم محمود، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٩٩٨م.
- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، د. حمادي صمود، ط١، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس ١٩٩٨م.
- الإيضاح، الفضل بن شاذان الأزدي (ت ٢٦٠هـ) تحقيق: جلال الدين الحسيني ط١، مؤسسة انتشارات، طهران ١٣٥١هـ.

- بلاغة الحجاج في النص الشعري، دالية الراعي التميزي نموذجاً، د. يوسف محمود عليّات بحث منشور في مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٩).
- الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، يمينه ثابتي، بحث منشور في مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد (٢) ٢٠٠٧م.
- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيتة وأساليه، سامية الدريدي، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ٢٠٠١م.
- الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، يعمران نعيمة (رسالة ماجستير) كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر ٢٠١٢م.
- الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ إسماعيل علوي وآخرون، ط١، عالم الكتب الحديث أربد، الأردن، ٢٠١٠م.
- الخطابة: ارسطو ترجمة عن اليونانية وشرحه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٠م.
- رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة - دراسة حجاجية، رائد مجيد جبار الزبيدي (اطروحة دكتوراه) كلية الآداب، جامعة البصرة ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
- زمن النص: الزمن وتفكيك الوحدة الايدولوجية للنص، حركية الزمن، الايدولوجي، المعرفي، جمال الدين الخضور، ط١، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا ١٩٩٥م.
- لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ) نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.
- اللغة والحجاج، ابو بكر العزاوي، ط١، العمدة في الطبع، المغرب ٢٠٠٦م.
- معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين ١٩٨٩م - ٢٠٠٠م، عمر بلمخير، (اطروحة دكتوراه) كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥م- ٢٠٠٦م.
- معاني الحروف، الرماني (ابو الحسن علي بن عيسى) تحقيق وتقديم: عبد الفتاح اسماعيل شلبي، ط٣، دار الشروق، جدة ١٩٨٤م.
- المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى، احمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، ط٢، المكتبة الاسلامية (د. م) (د. ت).
- منهج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦م.